مجلة الجزيرة لعلوم الوحي
الرقم الدولي: ISSN Linking: 1858-9723
http://journals.uofg.edu.sd/index.php/girs/

اثر الرحلة في رواية الحديث

د. محمد الفاتح المامون ابراهيم
أ. مساعد – معهد البحوث والدراسات الإسلامية – جامعة الجزيرة

المعلومات
تاريخ إرسال الورقة: 2022/11/3م
تاريخ قبول الورقة: 2023/1/5م
تاريخ نشر الورقة: 2023/1/19م

الملخص

تتلخص هذه الدراسة في معرفة أثر الرحلة في رواية الحديث تطورها ونشأتها والمراكز العلمية في البلدان المختلفة واسباب الرحلة ودوافعها وفوائدها، وعيوبها. وبعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وفتوح الأمصار تفرق اصحابه في البلدان ليفقهوا أهلها وينشروا دين الله تعالي بين سكانها من غير المسلمين ،وقد اختلف عدد الصحابة الذين نزلوا كل مِصر من هذه الأمصار، كما اختلف مستواهم العلمي، وعلمهم بحديثة وشمائله واحز من هؤلاء الصحابة أبناؤهم، وعدد كبير من التابعين فيل بلد.

ومع ظهور الحركات الدينية في زمن بني أمية التي عبرت عن نفسها بآراء معينة صبغت تلك الفرق، كالتشيع او الإرجاء وغيرها تبلورت مدارس حديثية متنوعة في أمصار الإسلام مثل المدينة المنورة ومكة المكرمة، والكوفة، والبصرة، ومصر، والشام. وبعد أن اتسعت دائرة الرواية من الإقليمية التي يعتمد فيها الطالب علي شيوخ بلدة اصبحت عامة شاملة يأخذ الطالب بواسطة الرحلة عن شيوخ الأمصار الأخرى، فنشأ جيل من الرواة يمكن أن نسميهم بالمحدثين الموسوعيين اللذين كان لهم الفضل في حفظ وتدوين السنة النبي ﷺ . وتأتي أهمية البحث في معرفة أثر الرحلة في رواية الحديث . ويعتمد هذا البحث على المنهج الاستقرائي التحليلي ويضم أهم النتائج والتوصيات، ومن أهم النتائج:

1- ان الرحلة بين البلدان قد ساهمت في نقل الحديث خصوصا والعلوم الإسلامية عموماً.
2- ان الرحلة بداءت من زمن النبي صلى الله عليه وسلم لتعليم أحكام الدين.
3- اخرجت الرحلة الرواية من الإقليمية التي كان يعتمد عليها الطالب على أهل بلدة إلى الشمولية واجتمع في بعضها الراوي الكوفي، والمصري، والشامي، والمدني.

ولذلك كانت بعض التوصيات منها:

1- احياء سنة الرحلة في طلب العلم مع توافر وسائل النقل في العصر الحديث.
2- معرفة ما بذله رواة الحديث في الرحلة لطلب العلم والتثبت في نقل الحديث.

الكلمات المفتاحية الرحلة –ية الحديث

المقدمة:

الحمد لله رب العلمين والصلة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى اله وصحبه اجمعين.

وبعد :

تقوم رسالة هذه الأمة على تلقي معارف الوحي وتبليغه، فينبغي أن تكون قائمة على هذ الأمر الرباني الذي خصها به، ليتحقق لها الشهود الحضاري علي باقي الأمم الأخرى لقوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [1] وقال تعالى:﴿ قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٢٢﴾ ﴾[2] وقد جعل حماد بن زيد أحد علماء الحديث المشهورين هذه الآية في كل من رحل في طلب العلم والفقه، ورجع إلى من وراءه فعلمه إياه.

أهمية الموضوع:

تأتي اهمية البحث في معرفة اثر الرحلة في رواية الحديث لحث الكتاب والسنة على طلب العلم فكان هذا منطلق ومعتمد طلاب الحديث، فالرحلة كانت في ﷺ عامة لتعلم أحكام الدين الجديد وتعليمه، ولكن ما يهمني إثباته هنا هو توثيق بداية الرحلة، وأنها كانت في هذا الوقت المبكر جداً خلافاً لما قاله بعض المستشرقين.

أسباب اختيار الموضوع:

هنالك عدة اسباب منها:

1- اهتمام اهل الحديث خصوصاً بالرحلة واهل العلم عموماً
2- ان الرحلة في طلب العلم عموماً كانت في وقت مبكر
3- اثبات ان الرواية بسبب الرحلة خرجت من الإقليمية الى الشمولية .

مشكلة البحث:

تعتبرا لرحلة فيطلب العلم عموماً والحديث خصوصاً من الأهمية بمكان ولذلك كان لابد من معرفة الرحلة وتطورها وقد جعل ﷺ وسلم سلوك طريق العلم والرحلة فيطلبه طريقاً الى الجنة.

منهج البحث:

يعتمد هذا البحث على المنهج الاستقرائي والتحليلي.

هيكل البحث:

يتكون هذا البحث من اربعة مباحث بداية من ملخص البحث والمقدمة والخاتمة وأهم النتائج والتوصيات وفهرست المصادر والمراجع.

المبحث الأول: الرحلة في طلب الحديث النشأة والتطور.

المبحث الثاني: اهم الأمصار والمراكز العلمية فيها

المبحث الثالث: رواية مختلفي الأمصار الأسباب والدوافع.

المبحث الرابع: رواية مختلفي الأمصار فوائدها وعيوبها.

[1] . سورة آل عمران أية 110.
[2] . سورة التوبة أية 122.

المبحث الأول : الرحلة في طلب الحديث النشأة والتطور

حثنا ديننا الحنيف على طلب العلم لأن رسالة هذه الأمة تقوم على تلقي معارف الوحي وتبليغه، فينبغي ان تكون قائمة على هذا الامر الرباني الذي خصنا الله به، ليتحقق لها الشهود الحضاري على باقي الأمم. وقد جعل النبي ﷺ سلوك طريق العلم والرحلة فيه طريقاً الى الجنة، فقال عليه الصلاة والسلام: (...ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له به طريقًا إلى الجنة)[1]. بل جعل عليه الصلاة والسلام الخروج في طلب العلم من أعظم القربات، إذ هو في سبيل الله فقال :(من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع)[2]. إذن كان حث الكتاب والسنة على طلب العلم ومباركتهما له، هو منطلق ومعتمد طلاب الحديث، الذي تحملوا المشقة البالغة، والجهد الكبير ،والاسفار البعيدة. وكان الصحابة رضى الله عنهم أول من صرب أروع الأمثلة في تحمل المشاق ،فسجلت لنا كتب الحديث رحلاتهم المبكرة الأولى في عهده علي الصلاة والسلام وهي البعثات التعليمية التي كان يرسلها لتعليم الناس القرآن الكريم والسنة النبوية وفقههما. فالرحلة في عهده ﷺعامة لتعلم أحكام الدين الجديد وتعليمه، ولا يخفى أن طبيعة ذلك العصر فرضت هذا النوع من الرحلات، ولكن ما يهمني إثباته هنا ان الرحلة كانت في هذا الوقت المبكر جداً خلافًا لما اثبته بعض المستشرفين[3] وبعد وفاته ﷺ تفرق أصحابه في الأمصار للجهاد في سبيل وتعليم أهل البلاد المفتوحة أحكام دينهم الجديد، وكانوا متفاوتين في لأخذ عنه ﷺ ،ونتيجة لذلك كان بعضهم يضطر للرحلة غلى مصر آخر للسؤال عن حديث يريده ،أو التثبت من سماع حديثه عنده. وسجلت لنا كتب الحديث بعض هذه الرحلات، كرحلة جابر بن عبدالله رضى الله عنه التي استغرقت شهرًا إلى عبدالله بن أُنيس رضى الله عنه بالشام في طلب حديث واحد[4] . ولكن هذه الرحلات بقيت محدودة وعلى نطاق ضيق، فلم تكن عامة في كل الصحابة . وأخذ هذه السنة التابعون ومن بعدهم ،فهذا سعيد بن المسيب أحد التابعين المشهورين يقول:(إن كنت لأسير في طلب الحديث الواحد مسيرة الليالي والأيام)[5] وظهر في جيل التابعين من رحل لا لسماع رواية جديدة و أنما لسماع رواية موجودة عنده من راويها الأصلي دون واسطة.

المبحث الثاني :الأمصار والمراكز العلمية فيها:

بعد ان بزل الصحابة جهود عظيمة ومن بعدهم في جمع الحديث وروايته واخذه من الأمصار من افواه الرواة، كان لابد من التعريف بالأمصار التي كانت محط رحالهم، ومقصد جهتهم، التي اصبحت منارات للعلم بسبب ما توافرت لكل منها من الصحابة الذين دخلوها أو استوطنوها. وتفاوت الصحابة رضي الله عنهم في العلم والفضل، واختلاف مناهجهم في الاستنباط والعمل، وانعكس بدوره على الأمصار التي استوطنوها من حيث تفاوتها العلمي قوة وضعفاً، كما إن عدد الذين سكنوا كل مصر أيضاًله دورة في استظهار الحركة العلمية في هذ المصر.

وسأُعرف في هذا المبحث على وجه الإيجاز بأبرز الأمصار الإسلامية التي تشكلت فيها مدارس للحديث، وشهدت نشاطاً علمياً ملحوظاً في هذا المجال دون دخول في تميز خصائصها. ومن اهم هذه الأمصار ما يأتي:

اولاً: المدينة المنورة:

هي مكان هجرته ﷺ وعاصمة المسلمين الأولى ومنها انطلقت فتوحاتهم، وتحت ترابها يرقد نبيهم، فأصبحت بفضل ذلك في طليعة الأمصار الإسلامية علماً وفضلاً وقد آسر بعض كبار الصحابة الإقامة فيها كأبي، وعمر، وعثمان، وعلى في مطلع خلافته وغيرهم من الصحابة رضى الله عنهم جميعاً. وأخذ عن هؤلاء الصحابة أكابر التابعين من أهل المدينة كالفقهاء السبعة، وكذلك صغار التابعين ثم بقي لها العلم وافراً متصلاً على وفاة الإمام مالك وأصحابه ثم تناقص[6] .

---

[1] انظر الأمصار ذوات الأثار للذهبي ص511- 156 /تحقيق قاسم علي سعد/دار البشائر الإسلامية/بيروت،ط1/1986.

[2] انظر معرفة تابعي أهل مكة وطبقات ابن سعد ج5/ص463.

[3] انظر الأمصار ذوات الأثار للذهبي ص 176-177.

[4] انظر المصدر السابق ص 180.

[5] انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ج11/ص368 دار بيروت بدون تاريخ طبع .

[6] انظر تاريخ الإسلام للذهبي ج3/ص320 /322 تحقيق د/عمر عبد السلام ،دار الكتب العلمية بيروت،ط1، 1987م

ثانياً: مكة المكرمة:

لم يكن العلم في مكة كثيراً في صدر عصر الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وذلك لأن الصحابة رضى الله عنهم ما كانوا ليسكنوها ويفارقوا مجاورة النبي ﷺ في المدينة ؛كما أن أهل مكة كلهم من الذين لم يصاحبوا النبي ﷺ ويلازموه فترة طويلة، إلا أن العلم بمكة كُثر في أواخر الصحابة بنزول الصحابي المعروف عبد الله بن عباس فيها بعد رجوعه من البصرة[1].

ثالثاً: الكوفة:

نزل كثير من الصحابة العراق بعد فتحها سنة سبع عشرة للهجرة، وكان عدد الصحابة الذين نزلوا الكوفة وحدها ثلاثمئة من اصحاب الشجرة، وسبعون من أهل بدر وكان على رأسهم عبدالله بن مسعود، ثم أخذ من الصحابة جمع غفير من التابعيين . وقد أثنى العلماء أصحاب ابن مسعود من أهل الكوفة لما كان لهم من بجهود في نشر العلم فيها وفي غيرها من الأمصار وكان للكوفة مكانة علمية مميزة. والمتتبع لأسانيد الخرسانيين مثلاًي جد التأثر الواضح يجد التأثر الواضح للكوفيين فيها[2].

رابعاً: البصرة:

دخل البصرة جماعة من الصحابة منهم أبو موسى الأشعري وعبدالله بن عباس وغيرهم وغيرهم من الصحابة وتخرج على يد هؤلاء الصحابة عدد كبير من خيار التابعين كأحسن البصري ومحمد بن سيرين وقتادة بن دعامة وغيرهم ،وبفضل جهود هؤلاء التابعين أصبحت البصرة مركزاً علميًا مرموقًا في العالم الإسلامي[3] .

خامساً: الشام:

بعد الفتح الإسلامي نزل كثير من الصحابة مدن الشام، حتى أن حمصًا وحدها كان فيها نحو ثلاثين صحبيًا وممن نزلها من الصحابة المشهورين بلال بن رباح، وابو عبيدة عامر بن الجراح، وخالد بن الوليد وغيرهم وكثر العلم بالشام في عصر الصحابة رضى الله عنهم وتعزز باحتضانها للخلافة الأموية وكذلك كثر العلم في الشام في زمن التابعين، وبقي العلم في الشام متواترًا إلي نهاية القرن الثالث[4] .

سادساً: مصر:

بعد فتح مكة على يد الصحابي الجليل عمرو بن العاص دخلها جمع من الصحابة كان على رأسهم عبادة بن الصامت، والزبير بن العوم والمقداد بن الاسود وغيرهم وكثر العلم بها في زمن التابعين، ثم ازداد في زمن عمرو بن الحارث، والليث بن سعد والأمام الشافعي، وبن القاسم ومازال بها علم جم الى أن ضعف باستيلاء العُبيد ين الرافضة عليها وبنوا القاهرة و شاع التشيع[5].

سابعاً: إفريقية:

بعد أن فتح عبدالله بن ابي السرح إفريقية سنة سبع وعشرين للهجرة دخلها كثير من الصحابة رضى الله عنهم كما دخلها عدد كبير من الصحابة مع معاوية بن خُديج في غزواته لإفريقية، وبعد ذلك تكرر دخول الصحابة لإفريقية وكان قائمة الصحابة الذين دخلوها سفيان بن وهب الخولاني سنة ثمان وسبعين للهجرة وكان على رأس هؤلاء الصحابة نفر من كبارهم وأجلهم كالعبادلة وغيرهم. ومما أسهم في اثراء الحياة العلمية في إفريقية هو تأسيس مدينة القيروان على يد عقبة بن نافع سنة خمسين للهجرة، التي أصبحت فيما بعد مركزاً علمياً يؤمه طلاب العلم من المشرق والمغرب[6] .

ثامناً: اليمن:

دخل اليمن جمع من الصحابة كانوا رسُل رسول الله ﷺ وكان على رأسهم معاذ بن جبل، وأبو موسى الأشعري، وذلك ليفقهو اهلها. وخرج منها من التابعين أئمة معرفون كوهب بن مُنبه وأخوه هشام، وطاوس بن كيسان ثم عبد الرازق الصنعاني واصحابه، وعُدم منها الإسناد بعدهم[7].

---

[1] انظر الطبقات لخليفة ص287-288.
[2] انظر تاريخ بغداد ج9 /40-49.
[3] انظر التذكرة للذهبي ج1335/3 .
[4] انظر المرجع السابق ج148/2- 149.
[5] انظر تاريخ الرواة بالأندلس لابن الفرضي ج2/ص137-13.
[6] انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ج4/ص46 والبخاري في التاريخ الكبير ج213/2 -214 والكامل لابن عدي ج2/ص814 .
[7] انظر الاقتراح في بيان الإصلاح لتقي الدين بن دقيق العيد ص48/46

المبحث الثالث : روايات مختلفي الأمصار الاسباب والدوافع:

هنالك اسباب وأهداف عديدة دعت للرحلة، جعلت أهل الأمصار يرون عن بعضهم بعضاً، وكان من هذه الأسباب ما هو طوعي يتم بإرادة الراوي واختياره، ومنها ما هو قسري خارج عن إرادته، ولكن بغض النظر عن الاسباب والدوافع أن الرحلة قد تمت وأتت أُكلها وثمارها فأما طالب سمع الحديث ممن لقي من شيوخ أهل البلاد التي دخل اليها، وإما شيخ حدث طلاب العلم فيها، ومن أهم الأسباب والدوافع للرحلة عند الرواة:

أولاً: الرحلة لسماع الحديث:

ان سماع الحديث هو الدافع الرئيس عند الرواة للرحلة فكُتب الرجال والتاريخ حفظت لنا الشيء الكثير من أخبارهم. وفي عصر النبي صلى الله عليه وسلم ما كانت رحلات الصحابة إليه إلا لسماع حديثه والتفقه في أحكام الدين الجديد. وبعد وفاته ﷺ تفرق أصحابه في الأمصار فاتحين للبلاد ومرابطين في الثغور فاحتاج الناس لحديثهم عنه، فرحلوا إليهم للسماع منهم. وبعد شيوع الرحلة بين الأمصار الإسلامية في القرن الثاني الهجري، تكثفت رحلات الرواة طلباً للسماع، فجابوا الأمصار مستعذبين المشاق والمصاعب التي يواجهون في سبيل تحصيل الحديث[1] . ويقول الشعبي عن التابعي المعروف مسروق بن الأجدع: (ما رأيت أحد أطلب للعلم من افق من الأفاق من مسروق)[2] وكان بعض الروات لا يقر له قرار إن سمع بحديث في بلد حتى يرحل ويسمع ذلك الحديث .

هذه نماذج يسيرة من رحلات بعض الرواة في طلب الحديث، ولو أردت استقصاء كل من رحل في طلبه لأتيت على ذكر معظمهم ،لأن الرحلة كانت عندهم هي الأصل، ومن لم يرحل منهم أفراد يسيرون ولو بحثنا في تراجمهم لوجدنا أسباب مادية أو اجتماعية أو سياسة كانت وراء عدم رحلتهم ولم يمن ذلك زهداً فيها أو تقليلاً من شأن نتائجها3 ويكفينا الاطلاع على كتاب الخطيب البغدادي (الرحلة في طلب الحديث)الذي خصصه لمن رحل من الرواة في طلب حديث واحد فحسب ،ليجد مدى اهتمام الرواة بالحديث والحرص على سماعه[3] .

ثانياً: الرحلة للجهاد في سبيل الله والمرابطة في الثغور:

من الأسباب المهمة التي دعت الى خروج بعض الرواة إلى الأمصار الأخرى الجهاد في سبيل الله، واما جيوش الصحابة والتابعين التي فتحت كثيراً من الأمصار إلا دليلاً واضحاً على جلالة هذا السبب وأهميته في نشر العلم في البلاد المفتوحة، إذ أخذ عنهم أهل البلاد علومهم التي قدموا اليها؛ لأن الصحابة قاموا إلى جانب واجبهم بالجهاد والرباط بتعليم الناس وتفقههم، فكان لهم تأثيرهم العلمي الواضح في كل بلد. وأخبار المحدثين في جهادهم ورباطهم يطول ذكرها، ولكن سأذكر بعض الرواة على سبيل المثال فمنهم:

1- القاسم بن مُخمِرة الهمداني انتقل من الكوفة إلى الشام مرابطاً.
2- سنان بن سلمة البصري غزا الهند سنة خمسين للهجرة،
3- سعد بن هشام النصارى قتل غازياً في الهند.
4- يحي بن سعد دخل تونس متقلداً سيفة وغيرهم

وهكذا نجد أن الجهاد كان سبباً لكثير من رحلات الرواة التي أثمرت بلا شك في البلاد التي حلوا بها. ومع أن الجهاد والرباط سبب من اسباب الرحلة، وله آثره في انتقال العلمية إلى الأمصار المفتوحة[4].

ثالثاً: التكليف الرسمي من الدولة لتعليم أهل الأمصار المفتوحة:

اهتم النبي ﷺبإرسال البعثات التعليمية إلى بعض الجهات ؛لتعليم الناس وتفقههم بإحكام دينهم الجديد، فبعث معاذاً وأبا موسى الاشعري إلى اليمن . وكلف مجموعة من الصحابة وإرسالهم الى بعض القبائل العربية لتعليمهم القرآن والحديث. واقتفى الخلفاء من بعده هذه السنة فبعث عمر بن الحطاب عبدالله بن مسعود إلى الكوفة معلماً وكتب إليهم قائلاً:(أما بعد فإني بعثت إليكم عمارًا أميرًا، وعبدالله معلمًا ووزيراً ،وهما من النجباء من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعث عمر أيضًا عمران بن حُصين إلى أهل البصرة ليفقههم ويعلمهم، وبعث عبدالرحمن بن غنم الأشعري إلى الشام. ومما يشار الية في هذا المقام أيضاً لتشابهه مع ما سبق من حيث الأثر الذي يحدثه، الانتقال الطوعي إلى الأمصار الأخرى من قبل كثير من أهل العلم وهم مكتملو

[1] انظر الجامع للخطيب ج2/ص223 .
[2] انظر الجامع للخطيب البغدادي ج2/ص223 .
[3] انظر الكامل لابن عدي ج1/ص130 .
[4] انظر سير اعلام النبلاء للذهبي ج7/ص161 .

النضج، أي في مرحلة العطاء العلمي لا في مرحلة الطلب، وغالبًا ماي ُحدث هذا الانتقال أثراً علميًا واضحًا في البلاد التي يرحلون اليها [1] .

هذا بعض النماذج من هذا النوع .

رابعاً: الرحلة طلباً لعلو الإسناد:

يقسم أهل الحديث العلو إلى قسمين :

العلو المطلق، والعلو النسبي .

فأما العلو المطلق: يراد به :السند الذى قل عدد رجاله مع الاتصال، ومنتهياً إلى النبي ﷺ وسلم، مقارنة بسند آخر يرد به ذلك الحديث بعينه بعدد أكثر.

أما العلو النسبي فهو: ما يقل العدد مع الاتصال ايضا إلى إمام من أئمة الحديث ذي صفة عَلية كالحفظ والفقه والضبط والتصنيف، وغير ذلك من الصفات المقتضبة لتفضيله ،كشعبة ومالك والثوري والبخاري ومسلم وغيرهم، ولو كان العدد من ذلك الإمام الى منتها كثيرًا[2] ، وقد عظمة رغبة المحدثين في طلب العلو لكونه أقرب للصحة وقلة الخطأ لأن كل رجل من رجال الإسناد يُحتمل أن يقع الخلل من جهته سهواً أو عمداً، ففي قلتهم قلة جهات الخلل. وجعل الخطيب البغدادي تحصيل علو الإسناد وقدم السماع أحد المقاصد التي يرحل لطلبها رواة الحديث[3].

خامساً: الرحلة طلبًا للحج:

يعد الحج من أكثر الأسباب الداعة للرحلة، فلا تكاد نجد عالمًا إلا وقد دخل مكة حاجاً، وفي اثنائه يجتمع الرواة من كل الأمصار الإسلامية، فيعقدون حلقات العلم والحديث. وهذا المجمع العلمي السنوي كان يُغري طلاب الحديث فينهدون للرحلة طلباً للحج والسماع معاً، فهذا غلى بن المديني يقول:(يحملني حبي لهذا للحديث أن أحج حجة فأسمع من محمد بن حسن)[4] وكانت رحلات بعض العلماء للحج سببًا في حفظ حديثهم، كمعاوية ابن صالح الشامي والذي خرج من الشام شابا إليها فولى قضاءها، ولم يُحفظ أن أهلها رووا عنه الحديث، ولكن أهل المشرق سمعوا منه في حجته واستفادوا منه، وبهم عرف حديثه [5]. وإذا نظرنا في الكتب المصنفة في تاريخ رواة العلم بالأندلس على سبيل المثال تعطينا تصوراً واضحاً حول هذا الموضوع، فكثافة رحلات أهلها للحج سمعة واضحة فيهم، وما الفوائد العظيمة التي جنوها من هذه الرحلات ورجوعهم محملين بالسماع والمصنفات الا دليل على صدق ما نقول[6] . فكان للحج إذن .كسب من أسباب الرحلة .أثره في سير الحركة الحديثية، ففيه يلتقي العلماء والرواة من الأمصار المختلفة ويتبادلون الروايات والمصنفات، ولولاه لما انتشر علمهم في الآفاق ولبقيت الصبغة المحلية واضحة وظاهرة في حديثهم.

سادساً: الرحلة طلبًا للتجارة:

كان الضرب في الأرض سببًا في رحلات كثير من الرواة، ومع هذا المقصد الرئيس لم ينسوا سماع الحديث وإسماعه في البلاد التي يرحلون إليها؛ لأن وظيفة المسلم هي عبادة الله وتبليغ دينه وأخبار رحلات الرواة طلباً للتجارة كثيرة في كتب التراجم، ولكني سأقتصر على ذكر بعض الأمثلة التي تعطي تصورًا عن هذا النوع من الرحلات فمن رحل من الرواة للتجارة:

1- عيسى أبي عيسى الجناط أبو موسى المدني، قدم الكوفة في تجارة فسمع الشعبي وكان كثير الحديث.

2- ذكوان بن عبدالله أبو صالح السمان الذي كان من كبار العلماء بالمدينة، وكان يجلب الزيت والسمن الى الكوفة، فأخذ عنه أهلها واكثرو.

3- غالب بن خَطاف القطان، رحل إلى الكوفة في تجارة فنزل قريبًا من الأعمش، وكان يختلف الية.

---

[1] انظر تهذيب الكمال للمذي ج8/ص53-56 .
[2] انظر الجرح والتعديل لابن ابي حاتم ج4/ص7.
[3] انظر جزوة المقتبس للحميدي ص82 .
[4] انظر الثقات للعجلي ص122 .
[5] انظر قضاة قرطبة للخشني ص30 .
[6] انظر قضاة قرطبة، للخشني ص227 .

4- حمزة بن حبيب بن عمار الزيات، كان يتاجر بين الكوفة وحُلوان، فيجلب الزيت من الكوفة إلى حُلوان، ويجلب من حلوان الجبن والجوز حتى مات بحلوان، وكان عنده أحاديث، وكان صدوقاً صاحب سنة[1] .

سابعاً: الرحلة وفادة إلى الخلفاء:

رحل كثير من العلماء والرواة وافدين إلى الخلفاء لعدت اسباب منها :

1- طلباً لسماع العلم والحديث عنهم.

2- او ليكونوا جنداً في جيوشهم للغزو معهم

3- او لينالوا بعضاً من عطاياهم وجوائزهم.

وفي عهد النبي ﷺ وفد إليه اعداد كثيرة من الصحابة الذين جاءوا من أطراف الجزيرة العربية، لإعلان إسلامهم أمام النبي صلى الله عليه وسلم او تعلم أحكام الدين الجديد. وبعد وفاة النبي ﷺ وفد إلى الخلفاء من بعده كثير من الناس. وهكذا كانت الوفادة إلى الخلفاء سببًا في انتقال كثير من الرواة إلى الأمصار الأخرى.

هذا بعض الأسباب والدوافع التي كانت وراء رحلات كثير من رواة الحديث[2]

المبحث الرابع: رواية مختلفي الأمصار وفوائدها:

عندما يرحل العلماء من بلد إلى آخر لأي سبب من الأسباب التي مر ذكرها فإن هذه الانتقال له فوائد على أهل البلد وصاحب الرحلة . وكان بسبب رحلاتهم ورواياتهم عن الأمصار الأخرى او سماعهم منها فوائد كثيرة لا تنحصر في الفوائد العلمية فحسب بل تتعداها إلى فوائد عامة في الحياة وفقهها أيضاً ومن أهم هذه الفوائد ما يلي:

اولاً: حفظ الغرباء لحديث الشيخ بينما أهمله أهل بلدة:

لم يتيسر لبعض العلماء أن يحفظ حديثهم أو بعضه أهل بلادهم، فقيض لهم بعض الغرباء من أمصار أخرى ممن رووا هذه الأحاديث ونشروها ومن الأمثلة على ذلك:

1- حصين بن عبدالرحمن بن يسار الكوفي يُعدُ الواسطيون أروى الناس عنه، وليس أهل بلده الكوفيين.

2- محمد بن اسحاق بن يسار المدني فيأتي الرواة عنه من أهل البلدان أكثر من رواته من أهل المدينة، فلم يرو عنه منها غير رجل واحد هو ابراهيم بن سعد بن ابراهيم ابو اسحاق المدني وانفرد هو بالرواية عن جماعة من أهل مصر، فروى أحاديث لم يروها عنهم غيره[3].

3- معاوية بن صالح الشامي الذي خرج إلى الاندلس مبكراً وولي قضاها، ولم يكن أهلها يومئذ أهل علم، فلم يسمعوا منه، فأضاعوا بذلك علماً كثيراً، ولكنه عند حجه التف حوله العلماء بمن عرفوا قدره من أهل المشرق، فأخذوا عنه وعظمت استفادتهم منه[4].

ولا يخفى أن لهذه الظاهرة أسبابها ويمكن ارجاع ذلك إلى الآتي:

1- تعاطف بعض العلماء أهل البلاد مع الغرباء، وإعطائهم أولوية في السماع، وخصهم بالرواية دون طلاب اهل البلد.

2- تأخر وفاة بعض الغرباء، فينفردون بالرواية عن شيخ فلا يعرف حديثة إلا من جهتهم.

3- يعد أحيانًا انفراد الغرباء بالرواية عن شيخ هو نوع من الوهم، بسبب جهلهم بأحاديث هذا الشيخ المنكرة، بينما يعرف أهل البلاد حاله فلا يروونها.

4- جهل بعض أهل البلاد بالعلم والرواية، فلا يسمعون من المحدثين الذين استوطنوا بلادهم، بينما عرف غيرهم من الغرباء قيمة هؤلاء فسمعوا منهم حال انتقالهم[5].

ثانيًا: شيوع رواية الحديث وانتقال المصنفات الحديثية في الأمصار الإسلامية:

---

[1] انظر طبقات علماء إفريقية لابي العربي ج1/ص228 .

[2] انظر سير اعلام النبلاء للذهبي ج8/ص132 .

[3] انظر الضعفاء الكبير للعقيلي ج3/ص191 .

[4] انظر المجروحين لابن حبان ج2/ص116 .

[5] انظر الجرح والتعديل لابن ابي حاتم ج5/ص412 .

ان سماع الحديث كان الدافع الرئيس لرحلات الرواة فطافوا الأمصار ووصلوا إلى الأصقاع البعيدة بحثًا وتفتيشاً وتنقيبًا عن روا هنا ورواية هناك، وكان هذا بلا شك سبباً في رواية أهل الأمصار بعضهم عن بعض، فانتشرت الأحاديث، وتعددت الروايات، ووصلت إلى أقاصي الدنيا لكثرة طلابها وعشاق سماعها وتدوينها. كما إن هذ التبادل في الرواية بين الأمصار حمل معه مما حمل من فوائد عظيمة، منها انتقال مصنفات علمية بحالها من بلد إلى بلد آخر. ومنها على سبيل المثال موطأ الإمام مالك الذي يعد أول مصنف في الحديث يدخل إفريقية، والذي جلبة هو على بن زياد التونسي، وروايته له أول رواية عرفت للموطأ خارج المدينة المنورة، فيه انتشر ،ثم تتابع الأفارقة في الرحلة لسماعه من مالك مباشرة[1].

ثالثًا: التعرف على علماء الأمصار الأخرى:

بعد الفتوحات الإسلامي وانتشار الإسلام في البلدان المختلفة فكان اقتصار طالب الحديث على اهل بلدة يجعل معرفته بعلماء البلدان الأخرى محدودة وخصوصاً اذا كان مصره نائياً لا يشتهر بالعلم ولا يرحل إليه طلبته. فللرحلة إلى الأمصار الاخرى والاخذ عن شيوخها والسماع منهم له فوائد عديدة منها:

1- توثيق العلاقة العلمية بهم.
2- ازدياد التعرف عن قرب من هؤلاء الشيوخ ومعرفة احوالهم.
3- تقويم هؤلاء الشيوخ من حيث القوة والضعف.
4- معرفة المناهج العلمية لهؤلاء العلماء روية ودراية.
5- المعرفة الدقيقة لأسمائهم والقابهم، وكناهم، ومواليدهم ووفياتهم.

رابعًا: تعديل بعض الأفكار والمعتقدات المنحرفة:

بعد نشوب الحروب والفتن بين الصحابة رضى الله عنهم كان له موقف لبعض الأمصار الإسلامية وله أثره البالغ في أهل هذه الأمصار حيث فشت بعض الأفكار و المعتقدات المنحرفة ،فهنالك بعض الامثلة منها:

ان أهل مصر كانوا ينقصون من سيدنا عثمان رضى الله عنه حتى نشأ فيهم الليث بن سعد فحدثهم بفضائله فكفوا، وكان أهل حمص أيضاً ينقصون علياً حتى نشأ فيهم إسماعيل بن عياش رضى الله عنه فحدثهم بفضائله فكفوا، فلولا رحلة هذين العلمين وسماعهم لفضائل هذين الصاحبين الجليلين، لبقيا مثل أهل بلديهما في انحرافهما عنهما، بسبب حجب فضائلهما وعدم اشتهارها ومنع الحديث بها أحياناً. فساعدت الرحلات لبعض العلماء في التخفيف واحد من الغلو في الأفكار والمعتقدات، مما ساعد في تقريب وجهات النظر بين الأمصار المتصارعة فكريًا1. هذه بعض الفوائد من روايات مختلفي البلدان، التي قصدها الرواة وطلاب العلم بما تحملوا في الطلب من المشاق فضربوا آباط الابل، واغتربوا في الأمصار .ولكن مشيئة الله في حفظ دينه، ثم همم تُطال السماء أبت الا أن يكون سفر وترحال وطلب وتحصيل، لتجني الأمة إلى اليوم ثمار ما زرع هؤلاء الأسلاف.

المبحث الخامس : رواية مختلفي البلدان وعيوبها

لأننا نتعامل مع البشر اقتضت طبيعة الرواية لأهل البلدان المختلفة عن بعضهم البعض وقوع بعض العيوب في الرواية فحصول مثل هذه العيوب غير مستغرب ولا مستهجن، ونقاد الحديث وقفوا لكل حطأ في الرواية بالمرصاد، ولم يفلت من أيديهم كبار الرواة وشيوخهم فما بالك بغيرهم؛ لأن الأمر يتعلق بحديث رسول الله ﷺ. والبحث الموضوعي يقتضي التنبيه إلى أهم عيوب رواية أهل الأمصار بعضهم عن بعض فمن تلك العيوب :

اولاً: التغرب للكذب على رسول ﷺ في البلدان الأخرى:

انتقل بعض ممن رحل من الكذابين فرصة وجودة في البلدان الأخرى ليروي الأحاديث المكذوبة والروايات المنكرة عن النبي ﷺ، منتهزاً بذلك جهل أهل البلاد بحاله ومدى صدقه وكذبه، ولكن نقاد الحديث وقفوا لأمثال هؤلاء بالمرصاد، فكشفوا زيفهم وفضحوهم ليتجنبهم الناس. وقد وجدت أمثلة كثيرة الأمثلة هؤلاء الكذبين في كتب الرجال، ولكني سأقتصر على بعضها، فمن ذلك:

1- رحل عمر بن موسى الوجيهي الدمشقي إلى حمص، فاجتمع عليه اهلها، فجعل يقول لهم: حدثنا شيخكم الصالح، فلما أكثر قال له عَفير بن معدان: من شيخنا هذا الصالح سمه لنا نعرفه؟ فقال: خالد بن معدان، قلت له: في أي سنة لقيته؟ قال لقيته

[1] انظر سؤلات مسعود بن على السجري، للحاكم النيسابوري ص167تحقيق د/موفق بن عبدالله دار الغرب الإسلامي، بيروت ،ط1- 1988م. .

سنة ثمان ومئة، قلت: فأين لقيته؟ قال: لقيته في غزاة أرمينية، فقلت له: اتق الله يا شيخ ولا تكذب مات خالد بن معدان سنة أربع ومئة، وأنت تزعم أنك لقيته بعد موته بأربع سنين أو أزيد أُخرى أنه لم يغز أرمينية قط كان يغزو الروم[1].

2- عمر بن هارون بن يذيد الثقفي مولاهم أبو حفص البلخي، كذبه بعض النقاد ،رحل إلى مكة فوصلها وقد مات جعفر بن محمد فحدث عنه بعدُ في البصرة كما قال ابن مهدي مدعياً السماع منه[2].

3- عبيد بن القاسم الأسدي الكوفي، كذبه غير واحد من النقاد ،فقال عنه أبو زرعة الرازي:(كوفي قدم البصرة، فحدث بأحاديث منكرة، لا ينبغي ان يُحدث عنه)[3].

4- محمد بن عبدالرحمن بن الحسن الجعفي، ابو بكر الكوفي نزل دمشق، قال ابن حبان:(مستقيم الحديث حدث بالشام غرائب)[4] .

ثانياً: رحلة الراوي إلى بلد غير مشهور بالعلم فيموت فيها علمه:

إن البلدان التي يكثر فيها العلم وطلبته حيث تكثر مجالسه ومذكراته، مما يثري الحركة العلمية من أهل البلد والقادمين اليها من الغرباء، أما عندما تكون البلد خلوًا من العلم وأهله، فقيرة في علمائها وطلبتها، فإن من يرحل إليها ينقص علمة ويموت. فهذا عطاء بن السائب يقول: (دخلت على سعيد بن المسيب وهو يبكي فقلت:(ما يبكيك؟ فقال: ليس أحد يسالني عن شيء)[5] وقال أيضاً: (كان سعيد بن جبير بفارس، و كان يتحزن يقول: ليس أحدي سألني عن شيء)[6] ، ورحل إسرائيل بن موسى البصري إلى الهند، فلم يُذكر أن احدًا من اهلها روى عنه، لأنها لم تكن بلاد علم، وعدها الذهبي من الأقاليم التي لا حديث بها يروى، ولا عُرفت بذلك، وإسرائيل هذا ثقة روى له البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي، وسمع من كبار التابعين ابن سيرين والحسن البصري وغيرهما فأضاع أهل الهند علم هذا الراوي فلم يستفيدوا منه .

هذه بعض النماذج اليسيرة في هذا الموضوع، والمتتبع لا يعوزه أن يجد غيرها وإنما قصدت الاختصار والتنبيه على هذه المسألة النادرة، التي حصلت لبعض رواة الحديث، فكانت سبباً في قلة الاستفادة من علمهم.

ثالثًا: نشر الأفكار المنحرفة في الأمصار الأخرى:

كان للحركة النشطة للرحلة بين هذه البلدان ادت الى انتشا كثير من المذاهب الفاسدة والأفكار المنحرفة فمن ذلك ان معبد بن خالد الجهني الذي يعد أول من أظهر القول بالقدر من البصرة، قدم المدينة المنورة فافسد بها ناساً بمقولته في القدر. وذكر غيرُ واحدمن أهل العلم كيحى بن بُكير، وعلى بن المديني ،وأحمد بن حنبل وغيرهم، أن عكرمة مولى بن عباس كان يرى رأي الخوارج، فأخذ أهل إفريقية ذلك عنه عندما رحل اليهم ،فالخوارج الذين بالمغرب عنه أخذوا. وكان عبدالرزاق بن همام الصنعاني أحد خزائن العلم باليمن، قد نسب الى التشيع فقال له ابن معين: (إن أستاذيك اللذين أخذت عنهم كلهم أصحاب سنة، معمر ومالك وابن جريج وسفيان والآوزاعي، فعمن أخذت هذه المذهب؟ فقال: قدم علينا جعفر بن سليمان الضبعي، فرايته فاضلاً حسن الهدى، فأخذت هذا عنه)[7]. فكانت رحلة جعفر سببًا في نشر مذهبه، واعتناق بعض من لقيه لهذا المذهب.

---

[1] انظر مفتاح السعادة لطاش كبرى ذادة ج1/ص10 دائرة المعارف النظامية الهند ط1 .

[2] انظر الأمصار ذوات الأثار ص226،227 .

[3] انظر الميزان للذهبي ج1/ص611 .

[4] أنظر سؤالا مسعود بن علي الحاكم النيسابوري، ص 167، تحقيق د. موفق بن عبدالله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1988م.

[5] أنظر مفتاح السعادة: لطاش كبرى زيادة، ج1/ ص 10، دائرة المعارف النظامية، الهند، ط1.

[6] انظر الامصار ذوات الأثار، ص 226، مصدر سابق.

[7] انظر الامصار ذوات الأثار، ص 226، مصدر سابق.

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ونصلى ونسلم على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين

وبعد:

فقد تم بحمد الله هذا البحث الذي يخلص الى النتائج والتوصيات الأتية

ومن أهم النتائج:

1- ان الرحلة بين البلدان قد ساهمت في نقل الحديث خصوصًا والعلوم الاسلامية عمومًا.

2- ان الرحلة بداءت من زمن النبي ﷺ ليعلم احكام الدين

3- اخرجت الرحلة الرواية من الإقليمية التي كان يعتمد عليها الطالب على اهل بلده الى الشمولية واجتمع في بعضها الراوي الكوفي والمصري والشامي والمدني.

ومن أهم التوصيات:

1- معرفة ما بذله رواة الحديث في الرحلة لطلب العلم والتثبت في نقل الحديث.

2- احياء سنة الرحلة في طلب العلم مع توفر وسائل النقل في العصر الحديث.

المصادر والمراجع

1. الامصار ذوات الأثارللذهبي،ط1، 1986م تحقيق قاسم على سعد، دائر البشائر الاسلامية بيروت .
2. الطبقات لابن سعد،ط1، 1968م، دار صادر بيروت، تحقيق إحسان عباس
3. تهذيب تاريخ دمشق لعبد القادر بدران،ط2، 1979م بيروت
4. الكامل في التاريخ لابن الأثيرب، بدون تاريخ طبع دار صادر بيروت
5. طبقات علماء افريقية لابن العرب، بدون تاريخ طبع، دار الكتاب اللبناني.
6. تاريخ الإسلام للذهبى ،ط 1987،1م، تحقيق د/عمر عبد السلام دار الكتب العلمية بيروت.
7. الطبقات لخليفة ،بدون تاريخ طبع، تحقيق د/سهيل ذكار ،دار الفكر للطباعة،
8. تاريخ بغداد للخطيب البغدادي،ط1، 1417هـ،تحقيق عبد القادر عطا، دار التب العلمية بيروت.
9. التذكرة للذهبى،ط1، 1998م،دار الكتب العلمية بيروت.
10. جامع التحصيل للعلائي،ط2، 1986م، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، عالم الكتب، بيروت.
11. تاريخ واسط لبحشل،ط1، 1406هـ، تحقيق كوركيس عواد، عالم الكتب بيروت.
12. تاريخ علماء الاندلس لابن الفرضي،ط2، 1988م،مكتبة الخانجي القاهرة.
13. سير اعلام النبلاء للذهبي، بدون تاريخ طبعة، دار الحديث القاهرة،2006م.
14. التاريخ الكبير للبخاري ،بدون تاريخ طبعة، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد
15. الكامل لابن عدي
16. الأقترح في بيان الإصلاح لتقي الدين بن دقيق العيد، بدون تاريخ طبع، دار الكتب العلمية بيروت
17. الجامع لأخلاق الراوي للخطيب، بدون تاريخ طبع، تحقيق محمود الطحان، مكتبة المعارف الرياض
18. تهذيب الكمال للمذي،ط1، 1980م ،تحقيق د/بشار عواد معروف مؤسسة الرسالة، بيروت.
19. الجرح والتعديل لابن ابي حاتم،ط1، 10952م،دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد الهند.
20. جزوة المقتبس للحميدي،ط1، 1952م ،دار احياء التراث العربي، بيروت، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الهند.
21. الثقات للعجلي،ط1، 1984م،دار الباز
22. قضاة قرطبة للخشني
23. القاموس المحيط للفيروز آبادي،ط8، 2005م، تحقيق محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
24. رفع الإصر في قضاة مصر لابن حجر/ط1، 1998م،تحقيق د/على محمد عمر، مكتبة الخانجي القاهرة.
25. المقدمة لابن خلدون
26. ترتيب المدارك للقاضي عياض،ط1، 1956م،تحقيق مجموعة من العلماء، مطبعة فضالة المغرب.

27. الضعفاء الكبير للعقيلي،ط1، 1984م،تحقيق عبد المعطي امين قلعجي، دار المكتبة العلمية بيروت.
28. المجروحين لابن حبان،ط1، 1396هـ، تحقيق محمود ابراهيم زايد، دار الوعي حلب.
29. سؤالات مسعود بن على السجزي للحاكم،ط1، 1988م، تحقيق موفق عبدالله ،دار الغرب الإسلامي.
30. العلل ومعرفة الرجال لاحمد بن حنبل،ط1، 2001م تحقيق وصية الله بن محمد عباس، دار الخاني الرياض.
31. مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده
32. طبقات المحدثين باصبهان لأبو الشيخ،ط2، 1992م،تحقيق عبد الغفور عبد الحق البلوشى. موسسة الرسالة بيروت.